مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة العشرون – العدد 62 – 30-10-2024م

Volume 20th - issue no. 62 - 30/10/2024

Pages: 135 - 150 الصفحات: 135 - 150

مسألة خلق القرآن

للإمام محمد بن محمد بن علي، شمس الدين بن أبي اللطف الحصكفي المتوفى سنة 928هـ

(دراسة وتحقيقاً)

The question of the creation of the Qur'an
By Imam Mohamed bin Mohamed bin Ali, Shams Al-Din bin Abi Al-Lutf Al-Haskafi, who died in 928 AH
(Study and investigation)

الدكتورة أماني بنت فلاح الراشدي

Dr. Amani Flah AL– Rashdi

أستاذ مساعد في جامعة حفر الباطن

Assistant Professor at Hafr Al-Batin University

Email: afalrashidi@uhb.edu.sa

اعتمادات

الدكتورة أماني بنت فلاح الراشدي
أستاذ مساعد في جامعة حفر الباطن

Dr. Amani Flah AL- Rashdi
Assistant Professor at Hafr Al-Batin University
afalrashidi@uhb.edu.sa

مسألة خلق القرآن
للإمام محمد بن محمد بن علي، شمس الدين بن أبي اللطف الحصكفي المتوفى سنة ٩٢٨هـ
(دراسة وتحقيقاً)

The question of the creation of the Qur›an
By Imam Mohamed bin Mohamed bin Ali, Shams Al-Din bin Abi Al-Lutf Al-Haskafi, who died in 928 AH
(Study and investigation)

المستخلص

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فقد اشتمل هذا البحث على دراسة وتحقيق رسالة في مسألة خلق القرآن ألَّفها الإمام محمد بن محمد بن علي، شمس الدين بن أبي اللطف الحصكفي رحمه الله المتوفى سنة ٩٢٨هـ، وقد أورد فيها آراء الفرق في صفة الكلام وفي مسألة خلق القرآن منتصرًا في ذلك للمذهب الأشعري.

وقد جاء هذا البحث بعد المقدمة في مبحثين: المبحث الأول عرَّفت فيه بالمؤلف. والمبحث الثاني عرضت فيه النص المحقق كما تقتضيه ضوابط التحقيق العلمية.

الكلمات المفتاحية: خلق، القرآن، صفة، الكلام، ابن أبي اللطف

تحقيق: أماني فلاح الراشدي

Abstract

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon our Prophet Mohamed, his family and companions, and those who follow him. After:

This research included a study and investigation of a message on the issue of the creation of the Qur'an written by Imam Mohamed bin Mohamed bin Ali, Shams al-Din bin Abi al-Lutf al-Hasakfi, Allah mercy of who died in 928 AH, in which he stated the opinions of the difference in the character of speech and in the issue of the creation of the Qur'an, triumphant in that of the Ash'ari doctrine.

This research came after the introduction in two sections: the first section was known as the author. The second section presented the text of the investigator as required by the scientific investigation controls.

Keywords: creation, Qur'an, attribute, speech, Ibn Abi al-Lutf

Investigated by: Amani Flah Al-Rashdi

المقدمة

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة الإسلام، وأمرنا بالتمسك به ليوصلنا إلى دار السلام، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه والأئمة الأعلام.

أما بعد:

فإن مسألة خلق القرآن مسألة مهمة من مسائل الدين؛ لأنها متعلقة بصفة من صفات الله تعالى وهي صفة الكلام، وقد ألَّف الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن أبي اللطف الحصكفي رحمه الله المتوفى سنة ٩٢٨هـ رسالة في مسألة خلق القرآن ضمَّنها أقوال الفرق في صفة الكلام ولكنه انتصر للمذهب الأشعري.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

تعلقه بكلام الله تعالى.

كون المؤلف رحمه الله أبرز هذه المسألة من وجهة نظر أشعرية.

ما يجب على المختصين من الرد على أي أمر مخالف للكتاب والسنة، كما في هذا المخطوط.

أسباب اختياره:

الرغبة الشديدة في التحقيق وإخراج المخطوط بالصورة الصحيحة التي تخدم التراث وتعين على الاستفادة منه.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على مواقع المراكز البحثية وسؤال المختصين لم أقف على من قام بتحقيق هذا المخطوط إضافة إلى أن هذا المخطوط نسخة وحيدة.

منهج الدراسة:

نسخت النصــ المراد تحقيقه مع مراعاة قواعد التحقيق وعلامــات الترقيم، وقمت بتوثيق نقــولات المؤلــف، وترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في النص المحقــق، وعلقت على هذه المسألة العقدية على وفق منهج أهل السنة والجماعة.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى:

مقدمة تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة والمنهج والخطة.

ومطلبين: المطلب الأول: مطلب الدراسة. وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: اسم المؤلف

المسألة الثانية: مولده

المسألة الثالثة: طلبه للعلم وعمله

المسألة الرابعة: صفاته

المسألة الخامسة: عقيدته

المسألة السادسة: وفاته

المسألة السابعة: آثاره

المسألة الثامنة: أقوال أهل العلم عنه.

المطلب الثاني: النص المحقق.

ونسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به عباده المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم كلا العظيم انعا بيا ان نبينا محمد عليه صلى وسلا

وبعد فهذه رسالة معمولة فيما يتعلق بمسئلة خلق القرآن من الكلام

والفرقان بين الحق والباطل في هذا المقام وقبل الشروع

في اصل المرام لابد من تقرير الاقوال الصادرة من فرق

المسلمين في صفة الكلام وتقرير محل الخلاف بتفصيل المقال

والفصل فيها فنقول ومن الله التوفيق وبيده ازمة التحقيق قد اجمع

المسلمون قاطبة على اتصاف الباري تع بكونه متكلما وانه يتكلم غير

الحكاك من المعتزلة فانه نازع في كونه يتكلم متكلما في الفرق بين

يتكلم تكلم لكن معنى كونه تع متكلما عندهم انه قام بذاته كلام

قديم ازلي نفسي احدي الذات ليس بحرف ولا صوت وهو تع ذلك

متعلق بجميع متعلقات الكلام ثم اختلفوا في وصف كلام الله تع

في الازل بكونه امرا نهيا مخاطبة تكلما فاثبت ذلك الشيخ ابو الحسن الاشعري

ونفاه عبد الله بن سعيد وطائفة كثيرة من المتقدمين مع اتفاقهم

على وصفه بذلك فيما لا يزال واما المعتزلة فقد اتفقوا كافة

على ان معنى كونه تع متكلما انه خالق الكلام على وجه لا يعود اليه

صفة حقيقية كما لا يعود اليه من خلق الاجسام صفة حقيقية واتفقوا

ايضا على ان الكلام الله تع مركب من الحروف والاصوات وانه محدث

مخلوق ثم اختلفوا فذهب الجبائي الى ان الله تع يحدث عند قراءة كل

قارئ كلاما لنفسه في محل القراءة وخالفه الباقون وذهب ابو الهذيل

لا يبعد انه مصدر فعله الكلام المركب من الحروف
المعتزلة يقولون ان الكلام لا يصوت فان
مثل هذا الكلام فحوادث اتفاقا

الكلام النفسي وما لم يتفقوا عليه لا يكون ثابتا بالاجماع. بقي ههنا
شئ لا بد من التنبيه عليه وهو ان ما اثبته اهل الحق من الكلام
النفسي ما يقوم بالنفس الذي ضده السكوت بالنسبة الى ما يقوم باللفظ
الذي ضده السكوت والافة كما هو الظاهر من كلام الفاضل
المتقدم ذكره المنقول عن شرح المقاصد حيث قال في وصف الكلام
الذي نسب اثباته الى اهل الحق مناف للسكوت والافة كما في الخرس
والطفولية وانه هو المدلول للكلام اللفظي لا سماعه كما هو الظاهر من قوله
والاختلاف في العبارات دون المسمى كما اذا ذكر ما وقع بالسنة
سعد وده ومن رام زيادة التفصيل في هذا المقام فلينظم في سلك
المطالعة ما علقناه على المقالة المعزوة المنسوبة الى صاحب
المواقف حتى يقف على ما في قول الفاضل المذكور ولعمارات
الكاملية الشارحون من البعض وان مخالفة المعزوة بالشيع
من مخالفة الدليل ذهبوا الى ان المنتظم من محوف المسموع مع حدوثه
قائم بذاته تعالى فتامل والله الهادي للعباد الى سبيل الرشاد
تمت الرسالة المنسوبة الى الاستاذ

اعلم انه ليس معنى كلم الله موسى تكليما انه ابتدأ الكلام له بعد ان كان ساكتا
ولا انه بعد ما كلمه انقطع كلامه وسكت لمحال ان يطرأ على كلامه سكوت وانما
المعنى انه ازال بفضله المانع عن موسى عليه السلام وخلق له سمعا وقواه حتى ادرك
كلامه القديم ثم منعه بعد ورده الى ما كان قبل سماعه كلامه

المطلب الأول: مطلب الدراسة[1]

المسألة الأولى: اسم المؤلف: هو محمد بن محمد بن علي، شمس الدين بن أبي اللطف الحصكفي، ثم المقدسي، سبط العلامة شيخ الإسلام تقي الدين القرقشندي.

المسألة الثانية: مولده: وُلد بعد وفاة والده الشيخ أبي اللطف عام ٨٥٩ هـ في القدس.

المسألة الثالثة: طلبه للعلم وعمله: طلب العلم أولاً على علماء بيت المقدس إذ ذاك منهم الشيخ الكمال بن أبي شريف، ثم رحل إلى الديار المصرية، وأخذ عن علمائها وقرأ على جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الجوجري (ت ٨٨٩ هـ.)، والشيخ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ.). والشيخ شمس الدين السخاوي. فصار من أعيان العلماء الأخيار وأذن له بالإفتاء والتدريس.

المسألة الرابعة: صفاته: موصوف بالعلم والدين والتواضع، وكان عنده تودد إلى الناس، ولين جانب وسخاء نفس، وإكرام لمن يرد إليه، وأجمع الناس على محبته.

المسألة الخامسة: عقيدته: الأشعرية، تبين لي ذلك من خلال قراءتي ومن خلال استشهاده بأقوال أئمة الأشاعرة كالآمدي (ت ٦٣١ هـ.) والتفتازاني (ت ٧٩٣ هـ.) والجرجاني (ت ٤٧١ هـ.).

المسألة السادسة: وفاته: كانت وفاته رحمه الله تعالى ليلة السبت الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة في القدس، وصلي عليه بجامع دمشق غائبًا.

المسألة السابعة: آثاره:

١- (الموضح المبين لأقسام التنوين) في النحو.

٢- (عقد اللآلي في شرح بدء الأمالي) في العقائد.

٣- (وسائل السائل إلى معرفة الأوائل) منظومة أولها: قال محمد فتى ابن الشمسي ... ابن أبي اللطف الفقير القدسي

٤- (بَحْر الكلام ونحر اللئام) أوَّلُه: الحمد لله الذي شَرَعَ فَشَرَحَ الصُّدور ... إلخ

٥- (مسألة خلق القرآن).

٦- (رسالة في العقل).

٧- (رسالة في الروح).

المسألة الثامنة: أقوال أهل العلم عنه: قال عنه شيخه السخاوي: «فهم نبيه».

وقال عنه الشيخ الغزي في ترجمته: «الشيخ الإمام العلامة».

---

(١) يُنظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، ٩/ ١٦٤. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي، ١/ ١٦. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ١/ ٤٩٦. الأعلام للزركلي، ٧/ ٥٥- ٥٦.

المطلب الثاني: النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم كلامه، العظيم إنعامه بإرسال نبينا محمد عليه صلاة وسلامه وبعد:

فهـذه رسالة معمولة فيما يتعلق بمسألة خلق القرآن من الكلام والفرقان بين الحق والباطل فـي هذا المقام، وقبل الشروع في أصل المرام لابـد من تقرير الأقوال الصادرة من فرق الإسلام في صفة الكلام، وتقرير محل الخلاف بتفصيل القال والقيل فيها، فنقول -ومن الله التوفيق وبيده أزِمَّـة التحقيق-: «قد أجمع المسلمون قاطبة علـى اتصاف الباري تعالى بكونه متكلمًا وأنه يتكلم، غير الإسكافي[1] من المعتزلة[2] فإنه نازع في كونه يتكلم، متحكمًا في الفرق بين يتكلم، تكلم.

لكـن معنى كونه تعالى متكلمًـا عند أصحابنا[3]: أنه قام بذاته كلام قديم أزلي نفسي أحديّ الذات، ليس بحروف ولا أصوات، وهو مع ذلك متعلق بجميع متعلقات الكلام.

لكـن اختلفـوا في وصف كلام الله تعالـى في الأزل بكونه أمـرًا نهيًا مخاطبـة تكلمًا، فأثبت ذلـك الشيخ أبو الحسن الأشعري[4]، ونفاه عبـد الله بن سعيد[5] وطائفة كثيرة من المتقدمين مع اتفاقهم على وصفه بذلك فيما لا يزال.

وأما المعتزلة فقد اتفقوا كافة على أن معنى كونه تعالى متكلمًا: أنه خالق الكلام على وجه لا يعود إليه منه صفة حقيقية كما لا يعود إليه من خلق الأجسام صفة حقيقية، واتفقوا أيضًا على أن كلام الله تعالى مركب من الحروف والأصوات وأنه محدَث مخلوق.

ثم اختلفوا فذهب الجبائي[6] أن الله تعالى يُحدِث عند قراءة كل قارئ كلامًا لنفسه في محل

---

(١) أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي الإسكافي، أحد المتكلمين من المعتزلة، من مؤلفاته: (نقض كتاب حسين النجار)، وكتاب (الرد على من أنكر خلق القرآن)، وكتاب (تفضيل علي)، وكان يتشيع، توفي سنة ٢٤٠هـ. يُنظر: الأنساب للسمعاني، ١/ ٢٣٤، ٢٣٥. وسير أعلام النبلاء للذهبي، ١٠/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٢) المعتزلة: سمّوا بذلك لاعتزال رؤسائهم: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، مجلس الحسن البصري؛ لإحداثهما القول: بأن الفاسق مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، وأصول اعتقاد المعتزلة خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصل فرقهم إلى عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفّر سائرها، وقد أجمعوا على القول بنفي الصفات عن الله تعالى، وعلى أن القرآن محدث مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وأن الله ليس خالقًا لأفعال العباد، ويُسمَون أصحاب العدل والتوحيد -والعدل والتوحيد منهم بريئان- من أشهر علمائهم: إبراهيم النظام، وأبو الهذيل العلاف، والقاضي عبد الجبار. يُنظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، ١/ ٢٣٥- ٢٤٩، الفرق بين الفرق للبغدادي، ١١٤- ٢٠١، الملل والنحل للشهرستاني، ١/ ٥٦- ٩٦.

(٣) يقصد الأشاعرة.

(٤) هو إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، برع في معرفة الاعتزال، ولكنه كرهه وتبرأ منه، وأخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، قال الذهبي: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول، من مؤلفاته: (اللمع في الرد على أهل البدع) و(الإبانة عن أصول الديانة) و(مقالات الإسلاميين) مات ببغداد سنة ٣٢٤هـ ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٨٦- ٨٧.

(٥) هو عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، إمام الكلابية، جاراه الأشعري في أكثر آرائه. طبقات السبكي، ٢/ ٥١.

(٦) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة؛ كان إماما في علم الكلام، وله في مذهب الاعتزال

القراءة وخالفه الباقون.

وذهب أبو الهذيل بن علّاف[1] وأصحابه إلى أن بعضه في محل وهو قوله كُن، وبعضه لا في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار.

وذهب الحسن بن محمد النجار[2] إلى أن كلام الباري تعالى إذا قُرئ فهو عرض وإذا كُتب فهو جسم.

وذهب الإمامية[3] والخوارج[4] والحشوية[5] أيضًا إلى كلام الله تعالى مُركَّب من الحروف والأصوات.

ثم اختلف هؤلاء: فذهبت الحشوية: إلى أنه قديم أزلي قائم بذات الباري تعالى، لكن منهم: من زعم أنه من جنس كلام البشر، ومنهم من قال: ليس من جنس كلام البشر؛ بل الحروف حرفان والصوت صوتان قديم وحادث، والقديم منهما ليس من جنس الحادث.

وأما الكرامية[6] فقالوا: إن الكلام قد يطلق على القدرة على التكلم، وقد يطلق على الأقوال والعبارات، وعلى كل الاعتبارين فهو قائم بذات الله تعالى، لكن إن كان بالاعتبار الأول: فهو قديم متحد لا كثرة فيه، وإن كان بالاعتبار الثاني: فهو حادث متكثّر.

وأما الواقفية[7] فقد أجمعوا على أن كلام الله تعالى كائن بعد ما لم يكن، لكن منهم: من توقف في إطلاق اسم الحادث والمخلوق عليه، ومنهم: من توقف في إطلاق اسم المخلوق وأطلق اسم الحادث، ومن القائلين بالحدوث من قال ليس هو جوهرًا ولا عرضًا، وذهب بعض المعترفين

مقالات مشهورة، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري علم الكلام. يُنظَر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٤/ ٢٦٧.

(١) هو محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف، يعتبر المؤسس الثاني لمذهب المعتزلة بعد واصل، وهو شيخ الهذيلية التي نُسبت إليه، توفي سنة ٢٣٥هـ. يُنظر: وفيات الأعيان، ٣/ ٣٩٦. الفرق بين الفرق ص١٢١.

(٢) هو الحسين بن محمد النجار، وليس الحسن، شيخ النجَّارية من المعتزلة، وإليه نسبتها، وهو وأتباعه يوافقون أهل السنة في مسألة خلق الأفعال، ويوافقون المعتزلة في نفي الرؤية، توفي النجار سنة ٢٣٠هـ الملل والنحل، ١/ ٨٨- ٨٩.

(٣) هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام؛ نصاً ظاهراً، وإشارة إليه بالعين، وقالوا: أهم أمر في الدين هو تعيين الإمام. يُنظَر: الملل والنحل، ١/ ١٦٢.

(٤) كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار، ويتبرؤن من عثمان وعلي رضي الله عنهما ومن كثير من الصحابة. يُنظر: الملل والنحل، ١/ ١١٤.

(٥) أول من تكلم بهذا اللفظ هو عمرو بن عبيد من المعتزلة فقال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حشويًا، والمعتزلة تعني بذلك كل من أثبت الصفات وأثبت القدر، والفلاسفة تسمي من أقر بالمعاد الحسي والنعيم الحسي حشويًا، وأخذوا ذلك عن المعتزلة تلامذتهم من الأشعرية سموا من أقروا بما ينكرونه من الصفات ومن يذم ما دخلوا فيه من بدع الكلام والجهمية والإرجاء حشويًا. يُنظَر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية، ٢/ ١٢٩- ١٣١. ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية، ٢/ ٥٢٠.

(٦) الكرامية: أتباع أبو عبد الله محمد بن كرَّام، المتوفى سنة ٢٥٥هـ كان من عباد المرجئة، قال بالتجسيم وتبعه على بدعته خلق كثير. يُنظَر: الملل والنحل، ١/ ١٠٨.

(٧) سمُّوا بذلك لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره، وقد لُقبوا بالكلاب الممطورة. يُنظَر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٤٢، ٢/ ٤٢٠.

بالصانـع إلى أنه لا يوصف بكونـه متكلمًا لا بكلام ولا بغير كلام» هذا على وفق ما ذكره الآمدي[1] فـي أبكار الأفكار[2]، ولم يتعرض فيه بقول الحنابلة وكأنه أدرجهم في الحشوية وليسوا منهم على مـا ظهر من تفصيل الفاضل التفتازاني[3] والكلام في هذا المقام حيث قال في شرحه للمقاصد: وبالجملـة لا خلاف لأرباب الملل والمذاهب في كون الباري تعالى متكلمًا، وإنما الخلاف في معنى كلامـه، وفـي قدمه وحدوثه، فعند أهل الحق كلامه تعالى ليس مـن جنس الأصوات والحروف؛ بل صفـة أزلية قائمـة بذاته تعالى منافية للسكـوت والآفة كما في الخرس والطفولية هـو بها آمر ناهٍ مُخبر وغير ذلك يدل عليها بالعبارة والكتابة والإشارة فإذا عبّر عنها بالعربية فقرآن، وبالسريانيةً فإنجيل، وبالعبرية فتَورِيّة[4]، والاختلاف في العبارات دون المسمى كما إذا ذكر الله تعالى بألسنة متعـددة ولغات مختلفة، وخالفنـا في ذلك جميع الفرق وزعموا أنه لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحـروف المسموعـة الدال علـى المعاني المقصـودة، وأن الكلام النفسي غيـر معقول، ثم قالت الحنابلـة والحشويـة: إن تلـك الأصوات والحـروف مع تواليها وترتـب بعضها علـى البعض وكون الحـروف الثاني مـن كل كلمة مسبوقًا بالحرف المتقـدم عليه كانت ثابتة فـي الأزل، قائمة بذات الله تعالـى وتقدس، وأن المسمـوع من أصوات القُـرَّاء والمرئي من أسطر الكتـب نفس كلام الله تعالـى القديـم، وكفى شاهدًا علـى جهلهم ما نُقِل عـن بعضهم أن الجلدة والغـلاف أزليان، وعن بعضهـم أن الجسـم الذي كُتـب به القرآن فانتظـم حروفًا ورقومًا هو بعينـه كلام الله تعالى، وقد صـار قديمًـا بعدما كان حادثًا[5]، ولما رأت الكرَّامية أن بعض الشر أهون من البعض، وأن مخالفة الضـرورة أشنـع من مخالفـة الدليل، ذهبوا إلـى أن المنتظم من الحـروف المسموعة مع حدوثه قائـم بـذات الله تعالى، وأنه قول الله لا كلامـه، وإنما كلامه قدرته على التكلـم وهو قديم، وقوله حـادث لا محـدث، وفرقـوا بينهما، بأن كل ما له ابتـداء إن كان قائمًا بالذات فهـو حادث بالقدرة غيـر محـدث، وإن كان مباينًا للـذات فهو محدث بقول كـن لا بالقدرة، والمعتزلة لمـا قطعوا بأن المنتظـم مـن الحـروف أنه حادث، والحـادث لا يقوم بـذات الله ذهبوا إلى أن معنـى كونه تعالى متكلمًـا أنـه خلق الكلام في بعض الأجسام، واحترز بعضهم من إطلاق لفظ المخلوق عليه لما فيه من إيهام الخلق والاختراع، وجوزه الجمهور، ثم المختار عندهم وهو مذهب أبي هاشم الجبائي[6]

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد، الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين الآمدي؛ كان حنبليًا ثم انتقل إلى المذهب الشافعي، واشتغل بفنون المعقول وحفظ منه الكثير ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم توفي سنة ٦٣١هـ. يُنظَر: وفيات الأعيان، ٣/ ٢٩٣.

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين، ١/٣٥٣- ٣٥٥.

(٣) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق، من كتبه: (شرح المقاصد) و(شرح العقائد النسفية) توفي سنة ٧٩٣ه. ينظر: الأعلام للزركلي، ٧/ ٢١٩.

(٤) يقصد فتوراة

(٥) هذا ما رأيناه في كتاب أحد من طوائف الإسلام ولا نقله أحد عن رجل معروف من العلماء أنه سمعه منه؛ يُنظَر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١٢/ ١٦٧.

(٦) هو عبد السلام بن محمد أبوه المشهور بأبي علي الجبائي، معتزلي ابن معتزلي، تُنسب إليه فرقة البهشمية من المعتزلة، وله

ومـن تبعـه من المتأخرين أنه مـن جنس الأصوات والحـروف، ولا يحتمل البقاء حتـى أن ما خلق رقومه في اللوح المحفوظ أو كتب في المصحف لا يكون قرآنًا، وإنما القرآن ما قرأه القارئ وخلقه البـاري مـن الأصوات المنقطعـة والحروف المنتظمة، وذهـب الجبائي إلى أنـه جنس غير يسمع عنـد سمـاع الأصوات ويوجد بنظم الحروف وبكتبها، ويبقى عنـد المكتوب والحفظ، ويقوم باللوح المحفوظ، وبكل مصحف، وكل لسان، ومع هذا فهو واحد لا يزداد بازدياد المصاحف، ولا ينقص بنقصانهـا، ولا يبطل ببطلانها، والحاصل أنه انتظم من المقدمـات القطعية والمشهورة قياسان ينتج أحدهما: قدم كلام الله تعالى وهو أنه من صفات الله وهي قديمة، والآخر: حدوثه وهو أنه من جنس الأصوات وهي حادثة، فاضطر القوم إلى القدح في إحدى القياسين، ومنع بعض المقدمات ضـرورة امتناع حقية النقيضين، فمنعت المعتزلة كونه من صفـات الله تعالى، والكرامية كون كل صفة قديمة، والأشاعرة كونه من جنس الأصوات والحروف، والحشوية كونه المنتظم من الحروف حادثًـا، ولا عبرة بكلام الحشوية[1] والكرامية، فبقـي النزاع بيننا وبين المعتزلة وهو في التحقيق

مصنفات في الاعتزال توفي سنة ٣٢١هـ. يُنظَر: البداية والنهاية لابن كثير، ١٥/ ٧٥.

(١) بل العبرة كل العبرة بكلام السلف الذين يثبتون صفة الكلام لله تعالى على حقيقتها كما يليق به سبحانه، من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف، ويقولون إن الله جل وعلا لم يزل متكلمًا ولا يزال، وإن كلامه تعالى متعلق بمشيئته وقدرته، وإنه مسموع بالآذان حقيقة، وإنه بحرف وصوت، ويستدلون على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والعقل: فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ (طه: ١١-١٣) وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (النازعات: ١٥-١٦) وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤) وأوجه الدلالة من هذه الآيات:

أ). أن الله تعالى حينئذ ناداه ولم يناده قبل ذلك؛ ولمَّا فيها من معنى الظرف، فَوَقْت النداء بظرف محدود يدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ (البقرة: ٣٤) وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين. مجموع الفتاوى، ١٢/ ١٣١.

ب). أن النداء لا يكون إلا بصوت، يقول الجوهري: «النداء: الصوت». الصحاح، ٦/ ٢٥٠٥. ويقول ابن تيمية رحمه الله: «النداء في لغة العرب هو صوت رفيع، لا يطلق النداء على ما ليس بصوت، لا حقيقة ولا مجازًا». مجموع الفتاوى، ٦/ ٥٣١.

ج). أن في استماع موسى عليه السلام لكلام الله جل وعلا دليلاً على أنه كلمه بصوت؛ فإنه لا يُسمع إلا الصوت. يُنظَر: مجموع الفتاوى، ٦/ ٥٣١.

د). أن الله قال في كتابه في آية التكليم والتي قبلها: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٣-١٦٤) ففرَّق بين إيحائه إلى سائر النبيين وبين تكليمه لموسى؛ كما فرق أيضًا بين النوعين في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١) ففرق بين الإيحاء والتكليم من وراء حجاب؛ فلو كان تكليمه لموسى إلهامًا ألهمه موسى من غير أن يسمع صوتًا لم يكن فرق بين الإيحاء إلى غيره والتكليم له، فلما فرَّق القرآن بين هذا وهذا، وعُلم بإجماع الأمة ما استفاضت به السنن عن النبي ﷺ من تخصيص موسى بتكليم الله إياه دل ذلك على أن الذي حصل له ليس من جنس الإلهامات وما يدرك بالقلوب، إنما هو كلام مسموع بالآذان، ولا يسمع بها إلا ما هو صوت. وليس في وجود الصوت من الله تعالى تشبيه بمن يوجد الصوت منه من الخلق، كما لم يكن في إثبات الكلام له تشبيه بمن له كلام من خلقه. يُنظَر: مجموع الفتاوى، ٦/ ٥٣٢. ودرء تعارض العقل والنقل، ٢/ ٩٣.

ومن السنة: قوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ» صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم: (٩/ ١٤٨/ ٧٥١٢). وقوله: «احْتَجَّ آدَمُ، وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَكَلاَمِهِ...» صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ

﴿ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (النساء: ١٦٤)؛ (٩/ ١٤٨/ ٧٥١٥). وقوله: «يَحْشرُ الله العبَادَ، فَيُنَاديهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ» وقوله: «إنَّ الله تَجَاوَزَ لأمَّتي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أوْ حَدَّثَتْ به أنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ به أوْ تَكَلَّمْ» صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حَنث ناسيا في الأيمان: (٨/ ١٣٥/ ٦٦٦٤). وأوجه الدلالة من هذه الأحاديث:

١). أن هذه أدلة صحيحة صريحة أثبتت الكلام، والقول، والنداء بالصوت، والمناجاة لله تعالى، بصيغ مختلفة بين الفعل والاسم، وبين الماضي والحاضر والمستقبل، مما يدل دلالة واضحة على أن الله تبارك وتعالى يتكلم متى شاء، وأن كلامه كلام حقيقي بلفظه ومعناه.

٢). أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم؛ ففرَّق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء. فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب. وأيضًا ففي السنن أن معاذًا قال: يَا رَسُولَ الله، وَإنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ به؟ فَقَالَ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟». جَامع الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، بَاب ما جاء في حرمة الصلاة: (٤/ ٣٦٢/ ٢٦١٦)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. فبين أن الكلام إنما هو ما يكون باللسان.

٣). أنه لا يجوز النفي إلا بدليل كما لا يجوز الإثبات إلا بدليل، وقول القائل: إن الله لا يتكلم بصوت ونحو ذلك كلام لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، وليس فيه حديث لا صحيح ولا ضعيف، وأما الإثبات ففيه عدة أحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد وآثار كثيرة عن السلف والأئمة فأي القولين حينئذ هو الذي جاءت به السنة؟ قول المثبت أو النافي؟ مجموع الفتاوى، ٦/ ٥٣٠.

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف والأئمة على إثبات صفة الكلام الفعلية بالإضافة للذاتية، وأجمعوا على أن الكلام لا يكون بدون حرف وصوت.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «السلف والأئمة نَصُّوا على أن الرب تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء، كما نص على ذلك عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الدين وسلف المسلمين، وهم الذين قالوا بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، لم يقل أحد منهم إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قال أحد منهم إنه مخلوق بائن عنه، ولا قال أحد منهم إنه صار متكلمًا أو قادرًا على الكلام بعد أن لم يكن كذلك. والمقصود أن هذه الأقوال التي قالها هؤلاء المتكلمون... خالفوا بها إجماع السلف والأئمة وما جاء به الكتاب والسنة وخالفوا بها صريح المعقول الذي فطر الله عليه عباده». مجموع الفتاوى، ٩/ ٢٨٥- ٢٨٦.

ويقول الإمام السجزي رحمه الله: «لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحَلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والأشعري... في أن الكلام لا يكون إلا حرفًا وصوتًا ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات... وقالت العرب: الكلام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ... فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفًا وصوتًا فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يَخْبُرون أصول السنة، ولا ما كان السلف عليه، ... خرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة: المسلم والكافر». رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، ص ١١٥- ١١٩.

فتبين أن المعنى المجرد عن اللفظ لا يُسمع، وقد ثبت بالنص والإجماع أن كلام الله مسموع منه، كما سمعه موسى بن عمران، وفي هذا دليل على بطلان القول بأن الكلام هو المعنى النفسي. يُنْظَر: مجموع الفتاوى، ٦/ ٥٣٩.

وأما العقل: فمن الطرق العقلية في إثبات الصفات: أنه سبحانه لو لم يوصف بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم وصفه بالأخرى، فلو لم يوصف بالكلام لوصف بالخرس والبُكْم، وتلك صفات نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى.

وكيف يعجز عن الكلام من علَّم العباد الكلام، وأنطق الأنام؟ وكيف يهب عبده الكمال ويتصف بالنقص! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

بل يُعلم بالاضطرار أنا إذا قدرنا موجودَين أحدهما يتكلم متى شاء بالمعاني والحروف، والآخر لا يتكلم إلا بالمعاني دون الحروف، كان الأول أكمل من الثاني الذي لا يستطيع أن يعبر عما في نفسه إلا بعبارة وحكاية تقوم بغيره.

فالكلام صفة كمال -والله سبحانه متصف بجميع صفات الكمال- فيجب إثباته لله تعالى صفةً ذاتيةً فعلية. يُنْظَر: الدارمي، الرد على الجهمية، ص ١٥٥. وابن تيمية، التدمرية، ص ١٥١، ١٦٣. ومجموع الفتاوى، ٣/ ٨٨، ٦/ ٥٣٧، ٥٤٠.

أما إثباته صفة ذاتية دون فعلية ففير معقول، وليس له حقيقة شرعية ولا لُغوية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يقال للمحتج بها لا أنت ولا أحد من العقلاء يتصور كلامًا يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته. وأيضًا فقولك: (لو لم يتصف بالكلام لاتصف بالخرس والسكوت) إنما يُعقل في الكلام بالحروف والأصوات... فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيئًا يُعقل؛ بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس. والسكوت والخرس إنما يُتصوَّران إذا تُصوِّر الكلام». مجموع الفتاوى، ٦/ ٢٩٥- ٢٩٦.

فلا يَبْعُد قولهم عن قول المعتزلة، فالمعتزلة تقول القرآن مخلوق كله، وهم يقولون ألفاظه مخلوقة دون معانيه، ولهذا صرَّح بعضهم بكون الخلاف بينهم وبين المعتزلة خلافًا لفظيًا.

وينقُض قولهم ما أورده الأشاعرة أنفسهم على المعتزلة؛ إذ ما أوردوه وارد عليهم، فلو كان مخلوقًا في محل لكان الكلام العربي

عائـد إلـى إثبـات كلام النفس ونفيه، وأن القـرآن هو أو هذا المؤلّف من الحـروف الذي هو كلام حسـي، وإلا فلا نزاع لنا في حـدوث الكلام الحسي، ولا لهم في قدم النفس المثبت عندهم، وعلى البحـث والمناظـرة في ثبوت الكلام النفسي وكونه هو القـرآن ينبغي أن يحمل ما نقل من مناظرة أبي حنيفة وأبي يوسف[١] ستة أشهر ثم استقر رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر[٢] إلى هنا كلامه، وبتحقيقه انكشف أن القول بخلق القرآن إنما كان كفرًا عند فقهائنا على ما نص عليه فـي كتب الفتوى؛ لأن مرجعه إلى إنكار صفة الكلام، واتضح أن حافظ الدين بن الكردري[٣] غافل عـن هذا حيث قال في فتواه: قال المعلم: (تا قـرآن افريده شده است سيم نجشنبهي شده است) قيـل: يكفـر؛ لأنه قول بخلق القرآن والقـول به كفر، وقيل: لا يكفر؛ لأنه يُـراد به النزوع في العرف والعادة، لكنه يحتمل أن يراد بالقرآن المقروء لنا وأنه مخلوق بلا نزاع، فكيف يكفر بل الظاهر أنه أراد بـه ذلك وقد ذكر في الأصول أن قول الإمام بأن القائل بخلق القرآن كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة وهو دليل على أن القائل به مبتدع ضال لا كافر فإن ما نقله عن الأصول صريح في الغفول عما ذكر فتدبر.

وقـال الفاضل التفتازاني في شرحه للعقائد[٤]: وأقام غير المخلوق مقام غير الحادث يعني أقـام المص في قوله والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق تنبيهًا على اتحادهما وقصدًا إلى جري الـكلام علـى وفق الحديـث حيث قال عليـه السـلام: «كلام الله تعالى غير مخلوق، ومـن قال إنه مخلـوق فهـو كافر بالله العظيم»[٥]، وفيه بحث وهو أن المخلـوق في الحديث المذكور محمول على معنى المفترى من قبل المعتزلة، وقال الفاضل الشريف[٦] فيما نقل عنه في حواشي الكشاف وهو المناسـب لقوله كلام الله غير مخلـوق على أن الصغاني قدح فيه وعده من الموضوعات[٧]، ثم إن فيما تقدم ذكره من قوله والحاصل أنه انتظم من المقدمات القطعية أيضًا بحث ومثل هذا البحث

كلامًا لذلك المحل الذي خُلق فيه، فيكون الكلام العربي ليس كلام الله؛ بل كلام غيره، ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين أن الكلام العربي الذي بلّغه محمد ﷺ عن الله كلام الله لا كلام غيره. يُنظَر: مجموع الفتاوى، ٦/ ٥٣٤.
إذًا تبين مما سبق أنه ليس لمن قال بأن كلام الله قديم نفسي دليل يَعتمد عليه؛ بل هو مخالف للقرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع العلماء والعقلاء وأهل اللغة.

(١) هو القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان إمامًا فقيهًا محدثًا علامة، ولد عام ١١٣هـ، ولي قضاء بغداد وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، توفي عام ١٨٢هـ يُنظَر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٨/ ٥٣٥- ٥٣٨.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام، ٤/ ١٤٤- ١٤٦. بتصرف يسير.

(٣) هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد حَافظ الدِّين بن نَاصر الدّين الْعمَادِيّ الكردري الْحَنَفِيّ وَيعرف بالبزازي، مؤلف جَامع الْفَتَاوَى فِي مجلدين، توفي عام ٨٢٧هـ. يُنظَر: الضوءَ اللامع لأهلَ القَرن التاسع للسخاوِي، ١٠/ ٣٧.

(٤) شرح العقائد النسفية، ص٢٢٠- ٢٢١. بتصرف.

(٥) هذا الحديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات، ١/ ١٠٧.

(٦) هو علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني، يعرف بالسيد الشريف، توفي سنة ٨١٦هـ. يُنظَر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٥/ ٣٢٨.

(٧) حيث أورد رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني في كتابه الموضوعات، ص٧٦: «الْقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ».

رد علـى كلام الفاضـل الشريـف في شرحه للمواقف وهـو أنه لا يحرم من أن يُـراد بما يعود عليه الضميـر في قوله من صفات الله تعالى مـا يُراد به في قوله وهو أنه من جنس الأصوات أو لا وعلى الأول لا صحـة لقوله، ومنع الأشاعرة كونه مـن جنس الأصوات؛ لأن المراد مما يعود عليه الضمير فـي قولـه إنه من جنس الأصوات الـكلام اللفظي والأشاعرة لا ينكرون كونه مـن جنس الأصوات، وعلى الثاني لا وجه لقوله ضرورة امتناع حقية النقيضين إذ لا ناقض بين نتيجتين القياس وجوابه أن المـراد بهما واحد وهو ما كان الله تعالى به متكلمًا والأشاعرة يمنعون كونه من جنس الأصوات ودليـل الأشاعـرة على مذهبهم أنه ثبت بالإجماع أنه متكلـم ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام ويمتنـع قيام اللفظي الحـادث بذاته تعالى فتعين النفسي القديم، ويـرد عليه ما ذكره الآمدي في أبـكار الأفكار بقولـه: «سلمنا صحة الاحتجاج بالإجماع مطلقًا، ولكـن لا نسلم وجود الإجماع فيما نحن فيه.

قولـك أجمعـت الأمم على أن الله تعالى متكلم بكلام، فنقول: أجمعوا على إطلاق ذلك لفظًا أو معنى؟ الأول مسلم والثاني ممنوع.

ولهذا قال بعضهم: كلامه تعالى حروف وأصوات.

وقال بعضهم: هو مدلول الحروف، والأصوات القائم بالنفس.

فإذًا ما اتفقوا عليه من الإطلاق لفظًا لا يدل على الكلام النفسي، وما لم يتفقوا عليه لا يكون ثابتًا بالإجماع»[1].

بقـي ههنـا شيء لا بد من التنبيه عليه وهو أن ما أثبته أهل الحق من الكلام النفسي ما يقوم بالنفس الذي ضده النسيان، لا ما يقوم باللفظ الذي ضده السكوت والآفة كما هو الظاهر من كلام الفاضل التفتازاني المنقول عن شرحه للمقاصد حيث قال في وصف الكلام الذي نسب إثباته إلى أهـل الحق: منافية للسكوت والآفة كما في الخرس والطفولية، وأن مدلول الكلام اللفظي لا مسماه كمـا هـو الظاهر من قوله: والاختلاف في العبـارات دون المسمى كما إذا ذكـر الله تعالى بألسنة متعددة.

ومـن رام زيادة التفصيل في هذا المقام فلينظم فـي سلك المطالعة ما علقناه على المقالة المفـردة المنسوبـة إلى صاحب المواقف حتى يقـف على ما في قول الفاضـل المذكور، ولما رأت الكراميـة الشـر أهون من البعض وأن مخالفة الضـرورة أشنع من مخالفة الدليـل ذهبوا إلى أن المنتظِم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذاته تعالى من الخلل فتأمل والله الهادي للعباد وإلى سبيل الرشاد.

تمت الرسالة المنسوبة إلى الأستاذ.

---

(١) الأبكار، ص ٣٨٥.

اعلـم أنّـه ليس معنـى كلّم الله موسى تكليمًا أنـه ابتدأ الكلام له بعـد أن كان ساكنًا، ولا أنّه بعدما كلّمه انقطع كلامه وسكت؛ لمحال أن يطرأ على كلامه سكوت، وإنما المعنى أنه أزال بفضله المانـع عـن موسى عليه السلام وخلق له سمعًا وقوّاه حتـى أدرك كلامه القديم، ثم منعه بعد وردّه إلى ما كان قبل سماعه كلامه.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا المخطوط تبيَّن لي الآتي:

١. الإجماع على أن الله سبحانه وتعالى متكلم.

٢. الخلاف بين الفِرق في معنى كونه متكلم.

٣. الأشاعـرة يـرون أن كلامـه معنـى نفسي بلا حرف ولا صـوت، قائم بذاتـه، ليس متعلقًا بمشيئته وقدرته.

٤. السلـف الكـرام يثبتون صفة الكلام لله تعالى على حقيقتها كما يليق به سبحانه، من غير تعطيـل ولا تحريـف ولا تمثيل ولا تكييف، ويقولـون إن الله جل وعلا لم يزل متكلمًـا ولا يزال، وإنه بحرف وصوت.

والحمد لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى.

المراجع:

القرآن الكريم

أبـكار الأفـكار في أصول الديـن، سيف الدين الآمـدي، تحقيق: أحمد المهـدي، (ط٢، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

الأعلام، خير الدين الزركلي، (ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

الأنساب، عبد الكريم السمعاني، (الطبعة الهندية).

البدايـة والنهاية، أبو الفـداء بن كثير، تحقيق: عبد الله التركـي، (ط١، دار هجر، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م).

بيـان تلبيس الجهمية فـي تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد ابن تيميـة، تحقيق: مجموعة من المحققين، (ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ)

التدمريـة: تحقيق الإثبات للأسماء والصفـات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة، (ط٦، مكتبة العبيكان – الرياض، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

الجامـع الكبير سنـن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، تحقيق: بشـار عواد، (ط١، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٦م).

درء تعارض العقـل والنقل، أحمـد ابن تيمية، تحقيـق: محمد رشـاد، (ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ ١٩٩١م).

الـرد على الجهمية، عثمـان الدارمي، تحقيق: بـدر البدر، (ط٢، دار ابـن الأثير- الكويت، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).

رسالـة السجزي إلى أهـل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، أبو نصر السجزيّ، تحقيـق: محمـد با كريـم، (ط٢، عمادة البحـث العلمي بالجامعـة الإسلامية، المدينـة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (ط٣، مطبعة الرسالة).

شـرح العقائـد النسفيـة، سعد الديـن التفتازاني، تحقيق: علـي كمال، (دار إحيـاء التراث العربي- بيروت).

شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (عالم الكتب).

الصحـاح تاج اللغـة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، تحقيـق: أحمد عطار، (ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م).

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: مصطفى البغا، (ط٥، دار ابن كثير- دمشق، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد السخاوي، (دار مكتبة الحياة – بيروت).

طبقـات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيـق: د. محمود الطناحي، د. عبد الفتاح الحلو، (ط٢، هجر، ١٤١٣هـ).

الفـرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهـر البغدادي، (ط٢، دار الآفاق الجديدة بيروت، ١٩٧٧).

كشـف الظنون عن أسامي الكتب والفنـون لحاجي خليفة، تحقيق: إكمال الدين، بشار عواد، وآخرون، (ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٤٣هـ ٢٠٢١م).

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م).

مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م)

مقـالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، (ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

الملل والنحل، محمد الشهرستاني، (نشر: مؤسسة الحلبي).

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، (ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

الموضوعـات، رضي الدين الحسن بن محمـد الصغاني، تحقيق: نجم عبد الرحمن، (ط٢، دار المأمون للتراث- دمشق، ١٤٠٥هـ).

الموضوعـات، عبد الرحمن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد، (ط١، المكتبة السلفية- المدينة المنورة).

وفيـات الأعيان وأنبـاء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد ابن خلـكان، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر – بيروت).